المحاضرة الثالثة

نشأة و تطور علوم التربية

مصطلح "**علوم التربية** "لم يظهر دفعة واحدة، بل كان ثمرة تطور فكري وعلمي طويل.

- يعود استخدام هذا المصطلح إلى أواخر **القرن التاسع عشر** وأوائل **القرن العشرين**، عندما بدأت التربية تأخذ منحًى علميًا مستقلًا عن الفلسفة التقليدية.
- في البداية، كانت التربية تدرس ضمن إطار الفلسفة العامة أو ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية، إلى أن أصبحت لها مكانة مستقلة بفضل تطور مناهج البحث العلمي وظهور فروع علمية مساعدة.
- مع تأسيس **معاهد الدراسات التربوية والجامعات المتخصصة**، بدأ الحديث عن "علوم التربية" كمنظومة علمية متكاملة متعددة التخصصات.
- ساهمت أعمال مفكرين مثل **جون ديوي** و **إميل دوركايم** في ترسيخ المفهوم العلمي للتربية، باعتبارها ظاهرة اجتماعية وثقافية تستحق الدراسة المنهجية

و أول ظهور للمصطلح (علوم التربية) في أوربا سنة 1812 ، عندما نشر الباحث الفرنسي marc-antoine julien de paris كتابه : " أساس الطريقة البيداغوجية لدى بستالوتزي " ، و في سنة 1916 قدم نفس الباحث شرحا وافيا لهذا الإصطلاح الجديد في معرض حديثه عن التربية المقارنة ، و في نفس السياق ظهر كتاب جديد بعنوان علوم التربية من إنجاز الباحث الإنجليزي alexander bain الذي تمت ترجمته إلى اللغة الفرنسية سنة 1879من طرف gabriel compayre ، و مع نهاية القرن التاسع عشر (1887) شرعت كلية الآداب بفرنسا في تنظيم دروس تكميلية خاصة في علوم التربية و البيداغوجيا تحت إشراف Henri Marion الذي يعتبر أول أستاذ لمادة علوم التربية بفرنسا 1887 ، حيث أل؛ على الدور الذي تقوم به فلسفة التربية في الحقل التعليمي كونها تفسح المجال أمام الباحثين لوضع مقارنات دقيقة حول المنظومات التربوية ، و لذلك اعتبر علم التربية علما تطبيقيا يقترب من علم الأخلاق و السياسة ، من حيث الموضوع و المصادر المتعددة ، و في سنة 1902 عيّن دور كايم في جامعة السربون و كان يدرس مقاربات سوسيولوجية للفعل التربوي ، حيث اعتبر أن الممارسة الاجتماعية هي التي تحدد موضوع التربية ، و من ثم وجب على علم الاجتماع أن يسعى إلى فهم طبيعة و نوعية المؤسسات التربوية و غاياتها الاجتماعية .

و بغض النظر عن ما يحمله مصطلح علوم التربية من تحديدات و مواصفات مختلفة ، فإن البدايات الفعلية لنشأة المفهوم ارتبطت بالرغبة في إعادة النظر في طرق التكوين البيداغوجي و المهني للأساتذة للعاملين في الحقل التربوي على ضوء المستجدات العلمية التطبيقية .

و قد تأسست مجموعة من المعاهد المتخصصة في علوم التربية ، مثل معهد جون جاك روسو بسويسرا 1912و معهد البيداغوجيا بباريس 1920 و المدرسة التطبيقية للسيكولوجيا و البيداغوجيا بليون (فرنسا)1945 ، و بعد الحرب العالمية الثانية ازدادت علوم التربية انتشارا و سمعة بدليل ما أقرّه النظام التعليمي الفرنسي سنة 1967/1966 بخلق شهادة الإجازة (المتريز) في شعبة البسيكوبيداغوجيا ، و مع ظهور الحاجة إلى الرفع من أداء المؤسسات التعليمية و التربوية ، إزداد الإقبال على دروس علوم التربية في الجامعات الأوربية .

أما في المجتمع و الثقافة البريطانية نجد شيوع عبارة دراسة التربية studies of education عوض مصطلح علوم التربية ، و قد مرّت دراسة التربية ببريطانيا بمراحل مختلفة ، فمن سنة 1820 إلى 1914 اهتمت الجامعات بتطوير التعليم الثانوي ، كما استحدثت شعب اساسية في تاريخ التربية و السيكولوجيا و الطفولة ، و منه تأثرت المحتويات التربوية بالجوانب التقنية المرتبطة بقياس الذكاء ، و بعد الحرب العالمية الثانية انتقل الاهتمام في بريطانيا بالدراسات التربوية و البحث التربوي المعتمد على العلوم الانسانية كعلم الاجتماع و علم النفس و الفلسفة و التاريخ ، كما توجهت الدراسات و الأبحاث التربوية نحو التركيز على فحص الفعل التدريسي وفق تصورات سوسيولوجية التربية .

أما في ألمانيا فقد استعمل مفهوم البيداغوجيا في البداية للدلالة على التكوين المستقبلي للمدرسين ، بعدها تبنت مفهوم علوم التربية خصوصا بعد إنشاء مقاعد جامعية للبيداغوجيا منذ سنة 1912 ، و قد ازداد عدد المدرسين و المهتمين بعد الحرب العالمية الثانية مستفيدين بذلك من دروس فلسفة التربية و البحث التربوي .

فمصطلح علوم التربية تولد و تشكل من خلال الدراسات التطبيقية التي قام بها الباحثون و لاسيما الأوربيون ، وقد تم حصر الحقل المفاهيمي للمصطلح في النقاط التالية :

- مادة للتعليم و البحث في جميع الظواهر التربوية
- معارف نظرية و تطبيقية حول الممارسة التربوية
- نشاط عقلي يدرس الوجود التربوي الفعلي
- تصور معياري حول الحياة التربوية الخاصة و العامة
- مجال تأملي يرتبط بالفعل التربوي
- الدراسة المنهجية و البحث العلمي حول التربية
- حقول معرفية تدرس الوقائع و الأفعال التربوية ضمن سياق معين
- علوم تدرس مجموعة من الظواهر و الوضعيات التربوية
- معرفة مشتركة بين مجموعة من العلوم التي تدرس شروط الوجود الإنساني
- علم تطبيقي يندرج ضمن العلوم الإنسانية و الاجتماعية